ذلك الايحاء أهو لأن الفرس يفرطون في البكاء في هذه المأساة ويلطمون صدورهم ووجوههم ولا يخجلون من ابراز حزنهم ويأسهم ؟ كلا، فأية مأساة تخلو من البكاء والصراخ ؟ ان سبب الايحاء أمر آخر .

آتوسا تروي للحكماء حلمها المشؤوم : « رأيت في المنام امرأتين الأولى ترتدي ثوبا فارسيا والثانية تلبس ثياب الدوريين » . المرأتان اللتان رأتهما القيصرة في المنام ترمزان إلى فارس واليونان . وتتابع آتوسا الحديث فتروي أن ابنها القيصر كسيركس حاول أن يضع نيرا على رقبتي المرأتين ويشدهما إلى عربة فأطاعت احداهما أما الأخرى«فمزقت لجام الفرس بيديها وحطمت النير إلى نصفين » ان هذه التعابير — النير ، اللجام ، العربة — ذات مغزى كبير . بعد ذلك يزداد وضوح المقابلة بين اليونانيين والفرس في مسرحية اسخيلوس . تسأل القيصرة : من زعيمهم وراعيهم من سيد جيشهم ؟ انها لاتتخيل أي شكل آخر من أشكال الحكم : ويأتيها جواب الكورس : « ليسوا خدما لأحد ، ليسوا عبيد أحد » . وعندما يتحقق حلم آتوسا ويتضح أن كسيركس قد هزم ، يعود اسخيلوس فيطرق المسألة نفسها على لسان الكورس الفارسي ويصل إلى استنتاجات بعيدة المدى تجعل بمقدورنا الحديث عن المقارنة بين نمطين من الحياة أحدهما متوحش ، بكل مافي هذه الكلمة من معنى معاصر ، والآخر نمط يليق بالانسان المتحضر ، نمط لايرتمي فيه الانسان على الأرض خائفا ولا يعض على لسانه بأسنانه لأن من يتحرر من نير العبودية يصبح حرا في أقواله أيضاً .

ان الحاح اسخيلوس على هذه الفكرة يشير إلى مدى أهميتها عنده . فالامبراطورية الفارسية ، في نظر الشاعر ، ليست عدوا سياسيا فحسب ، بل هي أيضا نظام اجتماعي أشد تخلفاً وأقل انسانية من وطنه أثينا ، وهي نموذج الخصم الخارجي الذي يهدد أعمق جذور المدنية اليونانية . هكذا يتحول اعتزاز الشاعر بوطنه أثينا وباليونان إلى اعتزاز بالمبدأ الديمقراطي في حياة الدولة ، إلى الاعتزاز بحبّ الحرية عند الانسان عموما .

لايذكر اسخيلوس في « الفرس » اليونانيين الايونيين الذين حاربوا إلى جانب كسيركس ضد أبناء عمومتهم ، كما انه يصمت عن الخلافات في معسكر اليونانيين انفسهم عشية المعركة الحاسمة . وقد رأى بعض الباحثين أن السبب اعتقاد الكاتب بأن ذلك ليس مفيدا اذ تتطلب اللحظة التاريخية انشاء تحالف متين بين الدويلات اليونانية . ولكن القضية لاتنحصر ، في نظرنا ، بالحسابات السياسية الضيقة . ليس اسخيلوس مؤرخا رسميا ، بل هو شاعر وفنان يعمم الأحداث ويعطيها معنى شاملا . نعم ، انه سياسي ، ولكنه سياسي ، ككل فنان